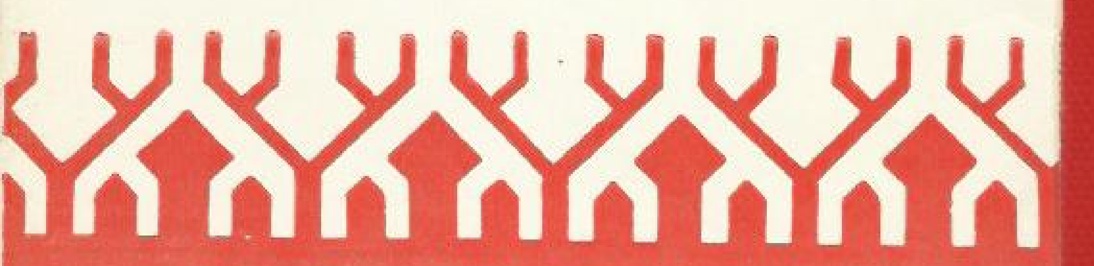
سلسلة تراث العارف بالله

سيدي الشيخ صالح الجعفري

(٥)

الذخيرة المعجلة

للأرواح المعطلة



الناشر

دار جوامع الكلم

حديقة الخالدين - الدراسة - القاهرة

سلسلة تراث
العارف بالله

الشيخ صالح الجعفرى

(٥)

الذخيرة المعجلة
للأرواح المعطلة

للعارف بالله تعالى الشيخ صالح الجعفرى الحسينى
من حملة العالمية مع إجازة التدريس من كلية الشريعة الأزهرية

الناشر
مكتبة دار جوامع الكلم
١٧ ميدان الجعفرى ـ الدراسة ـ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهمَّ صلِّ على طامةِ الحقائقِ الكبرى ، سرِّ الخلوةِ الإلهيةِ لَيلةَ الإسرا ، تاج المملكةِ الإلهيةِ ، ينبوعِ الحقائقِ الوجوديةِ ، بصرِ الوجودِ ، وسرِّ بصيرةِ الشهودِ ، حقِّ الحقيقةِ العينيةِ ، كونيّة المشاهدِ الغيبيةِ ، تفصيلِ الإجمالِ الكلّيِّ ، الآيةِ الكبرى في التجلي والتدلي ، نفسِ الأنفاسِ الروحيةِ كلّيةِ الأجسامِ الصوريةِ عرشِ العروشِ الذاتيةِ صورةِ الكمالاتِ الرحمانية لوحِ محفوظِ ذاتِك المخزونِ وسرِّ كتابِك المكنونِ الذى لا يمسُّه إلاّ المطهرون يا فاتحة الموجوداتِ يا مجمعَ بحرَى الحقائقِ الأزلياتِ والأبدياتِ يا عينَ جمالِ الاختراعاتِ والانفعالاتِ يا نقطةَ مركزِ جميعِ التجليّاتِ يا عينَ حياةِ الحسنِ الذى طارتْ منهُ رشاشاتٌ فاقتسمتها بحكمِ المشيئةِ الإلهيةِ جميعُ المبدَعات يا معنى كتابِ الحسنِ المطلقِ الذى اشتكفتْ فى حضرته جميعُ المحاسن لتقرأ حروفَ حسنهِ المقيدات ، يا من أرختْ حقائقُ الكمالِ كلُّها برقعُ الحجابِ دونَ الخلقِ وأجمعتْ أن لا تنظرَ لغيره إلا به من جميعِ المكوّناتِ ، يا مَصبَّ ينابيعِ ثجاجِ الأنوارِ السُّبُحاتياتِ الشعشعانياتِ ، يامن تعشقتْ بكمالهِ جميعُ المحاسنِ الإلهياتِ يا ياقوتةَ الأزلِ يا مغناطيسَ الكمالاتِ ، قد أيستْ العقولُ

والفهومُ والألسُنُ وجميعُ الإدراكات ، أن تقرأ رقومَ مسطورِ كنهياتِكَ المحمديّات أو تصلَ إلى حقيقةِ مكنوناتِ علومكَ اللّدُنيّات ، وَكيفَ لاَ يَارسولَ اللهِ وَمنْ لوح محفوظ كُنهكَ قرأ المقرّبُونَ كأسهم حَقيقة التّجليات صلى اللهُ وَسلم عَليكَ يا زينَ البرايا يا مَنْ لولاَ هوَ لَمْ تظهرْ للعالم عَينٌ مِنَ الخفيّات . . .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله .

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ورضى الله تبارك وتعالى عن آل بيته أجمعين وعن الصحابة والتابعين وتابع التابعين بإحسان لهم إلى يوم الدين « آمين » .

وبعد فيا أيها المريد السالك الذى تعطلت عليه قوى روحه . عن أن تدخل حضرة سبوحيه ، وتغلبت عليه النفس بشهواتها وجرته إلى لذات رغباتها فلم يمد يده إلى جنى جنته الدانى ، فلم يقطف منها ثمار أسرار المعانى ، وأوقفته على ساحل بحر خاضته الأولياء فأراد أن يخوضه فغرق فى حب لؤلؤه ومرجانه وغره صفاء الماء فالساحل هو العصمة والبحر هو الدنيا وخاضوه الأولياء وما ابتلوا ، وعن زخرفه ومرجانه فقد ولوا ، وصبروا على مكارهه وما ملوا « لقد خلقنا الإنسان فى كبد » فالدنيا ظرف والكبد أى التعب والمشقة والإنسان مظروف فيه فلا تغفل عن هذا فإذا أردت الخلاص من تلك القيود النفسانية ، والشباك الشهوانية فعليك بالتوجه بعالم روحك وفرغ قلبك إلى خير البرية الذى كانت روحك تعرفه فى عالمها وحصل لها الأنس به صلى الله عليه وآله وسلم والمعرفة والألفة ، فكان سرورها بقربه وغذاؤها بحبه وتنويرها بالإيمان به .

قال صلى الله عليه وآله وسلم « الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » .

فإذا ما رجعت إليه صلى الله عليه وآله وسلم وصلت المعرفة بالمعرفة والأنس بالأنس والألفة بالالفة والسرور بالسرور والغذاء بالغذاء والتنوير بالتنوير ، وقد أشار العارف بالله تعالى سيدى عمر بن الفارض رضى الله تعالى عنه إلى شىء من هذا المعنى بقوله :

ولى فى هواها نشوة قبل نشأتى ... ستبقى معى أبداً وإن بلى الجسم

وهذه النشوة بسبب النداء الإلهى فى عالم الارواح يوم أن ناداها سبحانه وتعالى بقوله (ألست بربكم) ، وفى عالم القرب المحمدى قال عليه الصلاة والسلام « كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد » وفى رواية « وآدم منجدل فى طينته » أخرجه الترمذى . أى كنت نبياً عند الله تعالى وعند أنبيائه ورسله وعند الملائكة وعند الارواح المؤمنة التى ستنزل الأرض إلى يوم القيامة ـ وكنت نبياً عند الله وحده قبل أى مخلوق ما .

قال عليه الصلاة والسلام « أول ماخلق الله نور نبيك يا جابر » فهو صلى الله عليه وآله وسلم أول المخلوقين وأول النبيين والمرسلين قال ابن الفارض :

وإنى وإن كنت ابن آدم صورة ... فلى فيه معنى شاهد بأبوة

وهذا معنى الشهادة الأزلية فى عالم الأزل من المؤمن (لا إله إلا الله) عند « ألست بربكم » ومحمد رسول الله فى عالم الارواح عند « الارواح جنود مجندة » .

وكيف تتوجه إليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم التوجه الذى يسرع فى إنقاذك وخلاصك ألا وهو أن تتوجه إليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم بروحك وقلبك كما يتوجه الغريق فى البحر لمن يريد إنقاذه ، وإذا أردت مخاطبته صلى الله عليه وآله وسلم فاعلم أن من أسمائه صلى الله عليه وآله وسلم الطاهر ظاهراً وباطناً فطهر ظاهرك بالماء وباطنك بالصفاء فإذا ما تطهرت فى الظاهر

والباطن تحقق فيك قول شيخنا وأستاذنا العارف بالله تعالى الشريف السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه « واجمع بينى وبينه كما جمعت بين الروح والنفس ظاهراً وباطناً » بطهارة الظاهر يحصل لك الاجتماع الظاهرى وبطهارة الباطن يحصل لك الاجتماع الباطنى فهما كالجناحين للطائر وهل يطير الطائر إلا بجناحين فإذا أهملت واحدة منهما فقد عطلت طيرانك .

وقد أودع لك فى الصلاة الاولى ما يكشف عنك غطاء قلبك ويحطم أغلال روحك ويسوقك سوق الذين اتقوا ربهم . فإذا ماتلوتها فأصلح منك الاوانى الروحانية باستعدادك لفهم المعانى المودعة فيها ، فكم أودعنا لك فيها من نفائس أسرار ما أُسِرّ بها لغيرنا . فإذا سرّى عنك أحسست بقربنا فى عالمنا الذى هو أقرب إليك منك ، فلو تخليت عن خسائس دورك التعيس لخاطبك من عالمه ابن إدريس فكيف أوقفت فى سيرك الجمال وأثقلتها بهذه الاحمال فما أرسلتها إليك لتثقلها ولتوقفها عن سيرها ولكن أرسلتها إليك لتحمل روحك إلى عالم الإطلاق الذى ما فيه لباب إغلاق . إيش حال الذى نام وما بليله قام وشغله طول المنام ولذيذ الطعام فما تريض ولا صام ؟ وإيش حال الذى صلى بالليل والناس نيام وأضاء الظلام ورتل القرآن فى جوف الظلام ؟ فأحاطت به الاملاك وشهدت له دورة الافلاك ، وتنزلت عليه السكينة ورفض بقلبه الدنيا لأنها زينة ، وأحست روحه بالتجليات وأيد قلبه بالطمأنينة والثبات وكتب من سهار الليالى ، واستشهد بالنجوم فى مشاهدة الكبير المتعالى . قال سيدى عمر بن الفارض رضى الله تعالى عنه :

واسأل نجوم الليل هل زار الكرى ... جفنى وكيف يزور من لم يعرف

وكما قال رضى الله تعالى عنه :

عود الشوق مهجتى سهر الليـ ... ـل فصارت من غير نوم تراكا

وكما قال بعضهم :

حرمت عينى منامى فعلى الطيف سلامى

فأدر لحاظ قلبك فى محاسن وجه قبلة روحك تجد جميع الحسن السابق حق فيه مصوراً بقدرة ربك . وتطبع فى قلبك صورة حبك فلا تنفك عنك طرفة عين ولا أقل من ذلك فينطبق عليك قول شيخك ذى الهيبة البهية فى الصلاة العظيمية «يقظة ومناما» لانه إذا تمكنت لحاظ قلبك حين أدرتها فى وجهه صلى الله عليه وعلى آله وسلم الشريف لايغيب عنك وإلى هذا أشار سيدى المرسى أبو العباس بقوله : « لو غاب عنى رسول الله صلى عليه وآله وسلم طرفة عين ماعددت نفسى من المسلمين ». وهذا حال شيخنا الشفاء رضى الله تعالى عنه فكان على القدم الراسخ فى هذا المقام بل قد ورث أبناء طريقه وأولاد روحه ما جعلهم كالسيوف البواتر إذا وقف الحق أمام الباطل ، وكالشموس الظاهرة إذا التبس الأمر على المحق . فتقدم إليه إذا أردت الحقائق التى يزهق الباطل أمامها ، لتشرق أنوار روحك وتجد إمامها أمامها فإذا صافحت روحك روحه مد يده إليك وصافحك ونظر إليك من عالمه، وإلى خير البرية صلى الله عليه وعلى آله وسلم قدمك . فيتولى صلى الله عليه وآله وسلم تربية روحك بالانوار المحمدية ، والنظرات الجمالية والفيوضات الاحمدية . فهنيئاً لكم يا أبناء الطريقة الادريسية فقد عز منالكم ، وارتفع ناركم وقويت حجتكم وعظمت سطوتكم منذ شكرتم الله على هذه المنة ، وتمسكتم بالكتاب والسنة فمن حاد عنهما حدنا عنه حيدان السبع عن ماء ولغت فيه الكلاب ، ونفرنا منه نفور العارفين عن الدنيا التى هى جيفة ، والكلاب لها طلاب . فإذا ما ضحكو أمامنا قلنا لهم « شرٌ أهَرَّ ذا ناب » وإذا أعرضوا عنا نظرنا إليهم نظر الناظر إلى السراب . ومن غير وبدل فى طريقنا هذا فإنه مستدرج لعقاب . فوالذى

نفسى بيده ما هى إلا حقائق محمدية وأنوار أحمدية ، وعلوم لدنية . موعدنا فيها مجمع البحرين ، وثانى اثنين . مجمع بحر الحقيقة والشريعة فمن عطل شريعته أضاع حقيقته وغشه الكشف والخوارق ، لأنه فارق مجمع الحقائق . والشريعة كجسدك والحقيقة كروحك .

فلا يحيا جسدٌ بغير روح ولا تظهر روح بغير جسد « ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلا » فتحريك جسدك دليل وجود روحك ووجود روحك دليل حياة جسدك . مَثَلُ العمل بالشريعة كالميزاب الذى ينهل منه الماء بنظام مخصوص وقدر معلوم فمتى تعطل ميزابه . تبعثر ماءه ، وحاد عن القلب انصبابه فُحُرم الطمأنينة والسكينة ، وتلعب به الدنيا التى هى زينة . فلا يُجمع فى قلب المؤمن زينتان قال تعالى : « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها » فلا يشتغل بها إلا من أظلم قلبه وعن ذكر ربه لها . سبحان الله . إيش هذا الحال ؟ فهل على القلوب أقفال ، فتطلب بالدين الدنيا وبعبادة الله تعالى ماذمَّه الله تعالى ؟ قال الله تعالى « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نباتُ الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح » .

والزينة الثانية زينة الإيمان قال تعالى : « حبَّبَ إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم » فلا يجتمع فى قلب المؤمن زينتان زينة الحياة الدنيا وزينة الايمان ولا يجتمع فى قلب المؤمن حُبان حُب الشهوات وحُب الايمان قال تعالى : « زُيِّن للناس حبُّ الشهوات » وقال تعالى : « حَبَّبَ إليكم الايمان » لأن الباطل يزهق أمام الحق قال تعالى : « وقل جاء الحق وزهق الباطل » .

فحب الإيمان حق ، وحب الشهوات باطل . فمن تحقق بالحق ، وأراد أن يجمع معه الباطل . فقد طلب المستحيل . فإذ تعلق بحب الباطل فقد صار

حب الإيمان فى رحيل . إيش هذا الحال ؟ يا أبناء الطريق الذى صاحبه على منار التحقيق أين أنتم من قوله تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » فأين منكم المساجد وأورادكم ؟ أين أنتم من قوله تعالى : « أمَّن هو قانتٌ آناءَ الليل ساجداً وقائماً يحذرُ الآخرةَ ويرجو رحمةَ ربه » وأين أنتم من قوله تعالى : « من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها » . وأين أنتم من قوله تعالى : « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نُوَفِّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يُبخسون أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النارُ وحبط ما صنعوا فيها وباطلٌ ما كانوا يعملون » أتريد أن تكون كذلك : أن تشتغل بحظك ومالك ، وتريد التجليات التى فى الأحزاب . كلاّ شتان بين مُشرقٍ ومُغربٍ . أما بلغك منى ما بلغك ، ووصل إليك ما وصلك ؟ فهل جهلت الذهب الغالى والجواهر واللآلى ؟ حتى عدلت عنها إلى التراب والجبال ونسيت إرث أبى عبد العالى ، أما علمت أن الإرث لمن ثَبتتْ بُنوّته . وظهرت فتوّته ولا يكون ابن الطريق ابناً لشيخه حتى يكون على قدمه . فإن خالف نهجه كان وجوده كعدمه (قالوا : يا رسول الله أمِنْ قلةٍ نحن يومئذٍ قال : لا بل أنتم كثير ولكنكم غثاءٌ كغثاء السَّيل) وقال تعالى : « قل لا يَستوى الخبيثُ والطيبُ ولو أعجبكَ كثرةُ الخبيث » فما الإرث إلا بالاتباع ومن لم يتبعْ حُرِمَ الإرث وضاع ، فكم للشيخ من دررٍ تَسكبُ وتُنقطُ من جواهر الأسرار والمعانى من أسرار السنة وجواهر القرآن ، فمن لم يعرف ما أبعده عنا ، ومن لم يعرف القرآن اختطفه الشيطان ، فمن كان بعيداً عن عن الشيخ فهو البعيد ، ومن اختطفه الشيطان فهو الطريد فلا تلعب بطريق حافظ الصحيحين والسنن ، والمتمسك بالكتاب والسنة فى السر والعلن ، العالم الربانى الذى عَبدَ الله تعالى على علم ومعرفة ، ومن لم يكن كذلك كان على جهل وسفه ، من كان فى مجلسه تتنزل الرحمات ، وتحيط به ملائكة الرحمن ،

ويكشف لجالسيه عن درر جواهر معانى السنة والقرآن ، فكم نثر من فيه درر التفسير للآيات القرآنية ، وكم بيّن للحاضرين أسرار معانى الأحاديث النبوية ، فكان رضى الله تعالى عنه إذا سئل عن التفسير نظر إلى باطن كفيه الشريفتين وإذا سئل عن السنة نظر إلى ظاهر كفيه ليجمع بين الكرامتين ففى أى وادٍ أنت وبأى شيخ اقتديت ؟ فإن كنت فى وادينا ففيه شمس أفق الألوهية فهل كشفت الران عن قلبك حتى تكون نفسك بهذا الطريق راضية مرضيا ؟ والذى نفسى بيده لو واظبت على الصلاة العظيمية لرأيت ما قلته لك بالقلب والعين ، لاسيما إذا ذكرتها فى اليوم والليلة ألفين . فكم رجال من المغاربة وغيرهم قد تحقق لهم بها الوصال ، والاجتماع بعين عيون الحقائق الإلهية وبحر الكمال ، فاغترفوا من زاخر بحره ما كشف للروح عن حقائقها مارقّ وراق من رقائقها ، فأظهروا من البدائع فى مقالهم ، ومن الخوارق للعادة فى حالهم فكم وكم من غرائب وعجائب وحكم ، فهدى الله الناس بمقالهم ، ونهض القلوب الخاملة بحالهم فكانوا كالترياق الشافى وكان مقالهم كشهد النحل الصافى تجرى أنهار الورد الإدريسى فى قلوبهم ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً دواءً وشفاءً لنفوسهم : عين التوبة فتابوا ، وعين الأوبة فآبوا ، وعين الغيبة عما سوى الله فغابوا ، وعين الحياة الطيبة فطابوا ، وعين اليقين فأيقنوا وما ارتابوا وعين تحقق الأمل فى الله فما خابوا ، وعين الكمال فتكمل أخلاقهم فما عابوا ، وعين الفيوضات الربانية فكم اغترفوا منها وجابوا ، وعين الصدع بالحق فما خابوا فى مواقف الحق وما هابوا ، وعين تفجر العيون فكم سُئلوا عن دقائق العلم فأجابوا ، وعين العشق الإلهى فلولا لطف الله بهم لذابوا ، وعين حفظ اللسان فما غشوا به وما اغتابوا .

فتلك اثنتا عشرة عيناً يغتسل المريد فى كل عين منها غسله من الحجاب

فتطهر بإذن الله من كل ما يغضب الله تطهيراً ، ثم كسى كسوة وهى التقوى والتوكل والقناعة والورع واليقين والحفظ والعناية والجهاد وجهاد النفس والصبر والرضا والثبات والعزيمة ثم ناداهم منادى الحق سبحانه وتعالى بقوله « ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله » . فإذا أضفت هـذه إلى التى قبلها كان العدد أربعة وعشرين فهى عدد ساعات الليل والنهار فيكون قد عمرها بما خلق من أجـله قال تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » وقال تعالى « واصطنعتك لنفسى » .

فإذا ضربت هذا العدد فى ألف كان العـدد أربعة وعشرين ألفاً عدد النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام وبذلك يلوح على القلب بعض غوامض معانى ما أشار إليه شيخ الطريق السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه « حتى يتفجر فى قلبى ينبوع حقائق معارف الأنبياء والمرسلين صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين » . لأن هذا المعنى بعيد وخفى حتى إن من تحقق به يقول إنه خفى وولى .

قال العارف بالله سيدى عمر بن الفارض رضى الله تعالى عنه :

خافياً عن عائد لاح كما ... لاح فى برديه بعد النشر طى
كهلال الشك لولا أنه ... أن عيـنى عينه لم تتأى

قلت : قال رضى الله تعالى عنه صرت مستوراً خفياً عن عائدٍ يزورنى لأننى صرت من شدة فرط الشوق والحب كالأثر فى الثوب الذى كان مطوياً ثم نشر فصرت كأثر الطى الذى يَظْهر فى الثوب كهلال الشكّ فى الخفاء وحينما دخل علىّ الزائر فى غرفتى لولا أنه وأن عينى أى ذاتى عينه أى ذاته لم تتأى أى تقصد ذاتى وتعرف مكانها . لذلك عز فهم مقالهم كما عز إدراك حالهم فمن فَهِمَ مقالهم أُذِنَ له فى الشراب . ومن عرف حالهم رفع عنهم الملامة والعتاب .

الفصل الثانى

الصلوات الأربع عشرة

وهذا أوان الشروع فى المقصود فأقول متبرئاً عن حولى وقوتى مستعيناً بحول الله وقوته فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

إعلم أن الصلوات الأربع عشرة الإدريسية هى سبعةٌ وسبعةٌ . فسبعة منها للنفوس السبعةِ وهى : الأمّـارة ـ اللوامة ـ الملهمة ـ المطمئنة ـ الراضية والمرضية ـ والكاملة .

وقد جمعتها بفضل ربى تعالى فى هذه الأبيات فعليك بحفظها .

وقسم الأنفسَ أهلُ البر ... لسبعة أمّـارةٌ بالشر
لوامة ملهمة من ربى ... والمطمئنـة التى فى القرب
راضية مرضية وكاملة ... فهذه عدتهن حاصلة

وسبعة من الصلوات الإدريسية لعروج سماوات الروح السبعة والعظيمية وهى الخامسة عشره لإشراق الجسم بنور الله تعالى كما قال شيخنا الشفاء أبو العباس العرائشى السيد أحمد بن إدريس صاحب العلم النفيس رضى الله تعالى عنه « وأشرقت أرض جسمى بنور ربها » فهذه الصلوات الخمس عشرة لها مدار فى عالمها كمدار الفلك فى عالمه . إذ كل صلاة لها وظيفة خاصة مع الروح تقوم بها ، فمن ترك واحدة منها فقد عطل سيرها فى فلكها وقد تكلمت على شىء من ذلك فى كتابى المسمى « الإلهام النافع لكل قاصد على رسالة القواعد » فعليك به يا أخانا فى الله تعالى فإنه نافع جداً ، وقد أرسل إلىّ بعض الإخوان بالسودان : أرسل إلىّ مقالته التى أعجبتنى وهى (هذا الكتاب يجب أن يكون تحت الوسادة حتى لا يمر يوم إلا وينظر الإنسان فيه) .

وسأفتتح قولى بالصلاة الأولى وعندى بشرى أريد أن أبشر بها الإخوان

في مشارق الأرض ومغاربها لعلي أن أجد أذناً صاغية وقلباً واعياً وهي كنت مسافراً في البحر على الباخرة من جدة إلى ليبيا فرأيت في النوم أني جالس في غرفتي التي أنا بها على سرير وبجواري سرير آخر ، وأنا جالس اقرأ الصلاة الأولى فلما شرعت في قراءتها دخل عليّ النبي صلى الله عليه وسلم وجلس على السرير الآخر وقال صلى الله عليه وآله وسلم « جئت لأسمع منك صلاة ابن إدريس » ثم اضطجع صلى الله عليه وآله وسلم على جنبه الأيمن وكلما تلوت في الصلاة يزداد نوره وظهوره لي صلى الله عليه وآله وسلم فحدثتني نفسي وأنا في وسط القراءة أن أقوم وأسلم عليه صلى الله عليه وآله وسلم فقمت وقبلت يده الشريفة ومسح بها على وجهي وصدري ثم أشار إليّ بيده أن اجلس وأكمل الصلاة فجلست كما كنت وأتممت الصلاة الأولى ثم قلت بعدها « يا كامل الذات يا جميل الصفات » إلى آخر الصلاة السابعة ثم استيقظت من منامي فرحاً مسروراً شاكراً لله تعالى. وقد سبقت لي منه صلى الله عليه وآله وسلم الإجازة العامة لجميع الصلوات وذلك أنني رأيت في منامي أني أصلي على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بصلوات غير التي في الطريقة الإدريسية فلما بدأت في العظيمية ظهر لي صلى الله عليه وعلى آله وسلم جالساً على كرسي فقمت وقبلت يده الشريفة وقلت له [أصلي عليك يا رسول الله بهذه الصيغة فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم « بها وبغيرها » وأشار برأسه الشريف من أعلى إلى أسفل ومن أسفل إلى أعلى صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما] .

وقد أجزت جميع الإخوان من أهل الطريقة الإدريسية وغيرها في مشارق الأرض ومغاربها بهذه الصلاة العظيمية التي أجازني بها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما أنني أجزتهم بالصلاة الأولى التي سمعها مني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما أني أجزتهم بباقي الصلوات التي أجازني بها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بقوله « بها وبغيرها » وجعلت

شفيعي في ذلك رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

ولي عظيم الأمل والرجاء في أن كل من يسمع كلامي هذا ويتوجه بقلبه وقالبه إلى هذه الصلوات مواظباً عليها مع الحب والعقيدة فإنه يراه صلى الله عليه وعلى آله وسلم في النوم وفي اليقظة، وما بيني وبين المرتابين والشاكين في قولي هذا إلا التجارب. فيا أيها المعجب بنفسه المغرور بيومه وأمسه الغافل عن حظيرة قدسه ، المعرض عن رقائق أنسه : هلم إلينا ثم هلم إلينا فلنا في كل زمان مظاهر ودررٌ وجواهر . وقد آن لك أيها السامع أن تكشف لك البراقع وتظهر لك الأنوار وتفوح عليك الأعطار وتترنم بقول المحب فإن قول المحبين للقلوب طبّ .

أبرق بدا من طالع النور لامع   أم ارتفعت عن وجه ليلى البراقع

حتى تكون ممن غاب ليلهم وأصبحوا، وبضوء شمس نهارهم استصبحوا فقالوا:

(١) « اللهم صل على طامة الحقائق الكبرى » وصاروا من أهل الحقائق

(٢) « سر الخلوة الإلهية ليلة الإسرا » فصاروا من أهل الأسرار .

(٣) « تاج المملكة الالهية » وتوجوا بتاج العز

(٤) « ينبوع الحقائق الوجودية » فنبعت في قلوبهم عيون الحقائق .

(٥) « بصر الوجود » فأبصروا به حكمة الوجود .

(٦) « وسر بصيرة الشهود » فاستنارت بصائرهم فصاروا من أهل الشهود الالهي .

(٧) « حق الحقيقة العينية » فتحققوا بالحق وزهق عنهم الباطل .

(٨) « وحوية المشاهد الغيبية » وكشف لهم عن ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطرَ على قلب بشر .

(٩) « تفصيل الاجمالى الكلى » ففصلت فى قلوبهم غوامض العلوم تفصيلا .

(١٠) « الآية الكبرى فى التجلى والتدلى » فثبتوا عند التجليات وتلذذوا بالقرب بمقام التدلى .

(١١) « نفس الأنفاس الروحية » وجعلوه صلى الله عليه وعلى آله وسلم روحاً لذاتهم من جميع الوجوه .

(١٢) « كلية الأجسام الصورية » وظهرت لهم صور الكون إذ لولاه ما ظهرت لصورة عين من العدم الرميم .

(١٣) « صورة الكمالات الرحمانية » فظهر لهم الكمال فى فعل الواحد الفعال .

إذا ما رأيت الله فى الكل فاعلا رأيت جميع العالمين مِلاحاً

(١٤) « عرش العروش الذاتية » فيصلون به إلى الحجاب الأعظم الحاجز بين الخلق وسبحات الوجه الكريم .

(١٥) « لوح محفوظ علمك المخزون » فيفاض عليهم من غيب الهوية الالهية الاطلاقية الاحاطية حتى يطلعوا على جميع خزائن أسرار العلوم .

(١٦) « وسر كتابك المكنون » فيفاض عليهم من معانى أسرار الكتاب المبين وآياته التى وصفها البوصيرى رحمه الله تعالى بقوله .

لها معان كموج البحر فى مدد وفوق جوهره فى الحسن والقيم

(١٧) « الذى لا يمسه إلا المطهرون » فيفاض عليهم من ماء مزن الغيب الذى من اغتسل به كان ذا سر فيحصل لهم الطهر الروحانى .

(١٨) « يا فاتحة الموجودات » فتفتح لهم الأبواب التى لا يفتحها إلا الفاتح

لما أغلق صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

(١٩) « يا مجمع بحرى الحقائق الأزليات والأبديات » فيفاض عليهم من بحر على الحقيقة والشريعة .

(٢٠) « يا عين جمال الاختراعات والانفعالات » فنالوا أسرار علم « ويخلق مالا تعلمون » .

(٢١) « يا نقطة مركز جميع التجليات » .

(٢٢) « يا عين حياة الحسن الذى طارت منه رشاشات » فرش على قلوبهم إكسير الرشاشات الذى يقلب النحاس ذهباً .

(٢٣) « فاقتسمتها بحكم المشيئة الالهية جميع المبدعات » فنالوا قسمهم غير منقوص .

(٢٤) « يا معنى كتاب الحسن المطلق الذى اعتكفت فى حضرته جميع المحاسن لتقرأ حروف حسنه المقيدات » فقرءوا من حروف حسنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما قرت أعينهم بقراءته فاستقر قلبه فنعم القرار .

(٢٥) « يا من أرخت حقائق الكمال كلها برقع الحجاب دون الخلق وأجمعت أن لا تنظر لغيره إلا به من جميع المكونات » فنظروا به إليه فاستغنوا عمن سواه .

(٢٦) « يا مصب ينابيع ثجاج الأنوار السبحاتيات الشعشعانيات » فتنوروا به ظاهراً وباطناً .

(٢٧) « يا من تعشقت بكماله جميع المحاسن الإلهيات » فغرقوا فى بحر الحب والشوق مقلق .

(٢٨) « يا ياقوتة الأزل يا مقناطيس الكمالات » فجذبهم إليه جذبة قوية مغمورة بالنور وهم فيها يغفلون .

(٢٩) « قد أيست العقول والفهوم والألسن وجميع الإدراكات » فتسربلوا باليأس عن الوصول إلى معرفة الحقيقة المحمدية .

(٣٠) « أن تقرأ رقوم مسطور كنهياتك المحمديات » تنال علما لدنيا من تلك المخازن الخفية .

(٣١) « أو تصل إلى حقيقة مكنونات علومك اللدنيات »

(٣٢)« وكيف لا يا رسول الله ومن لوح محفوظ كنهك قرأ المقربون كلهم حقيقة التجليات » . فقرءوا من لوح محفوظ كنهه ماقويت به شريعته وزادت به حقيقته « صلى الله وسلم عليك » ياسيدى يارسول الله .

(٣٣) « يازين البرايا يامن لولاهو لم تظهر للعالم عين من الخفيات » فنالوا تحفة الصلاة والسلام عليه ما ظهرت لهم به أسرار العلوم الخفيات .

فهذه ثلاث وثلاثون درجة . فإذا أضفت إليها الأربع عشرة التى تقدم ذكرها كان العدد سبعا وأربعين . فإذا أضفت إليها العظيمية والصلاة الجامعة وهى « اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وعلى جميع ... » إلخ وصلاة « المذهب للنسيان » كان العدد خمسين ، وبذلك تتحقق الروح بمعرفة الواجب لله تعالى وهو عشرون صفة ، والمستحيل وهو عشرون والجائز فى حقه تعالى وهو واحد ، والواجب فى حق المرسلين عليهم السلام وهو أربعة والمستحيل فى حقهم وهو أربعة . والجائز فى حقهم عليهم الصلاة والسلام وهو واحد .

فيكون العدد خمسين ، وبعد ذلك يستطيع أن يضع قدمه فى بحر التوحيد الذى من كان كذلك فقد قلد بسيف (جاء الحق وزهق الباطل) . قال شيخنا

رضى الله تعالى عنه فى أحزابه وقلدنى سيف (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) .

اعلم أيها المريد أن الإنسان دائما وأبدا إما أن يكون مع الحق وإما أن يكون مع الباطل ظاهرا وباطنا قولا وفعلا . والمميز لذلك هو الشرع فإن كان قوله وفعله وخاطره موافقا للشرع فهو مع الحق متقلد بسيف جاء الحق وزهق الباطل ، وإن كان قوله وفعله وخاطره مخالفا للشرع فهو مع الباطل ، وصاحب الحق عليه لباس التقوى يراه الله تعالى وتراه الملائكة الكرام ويراه النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ويراه بعض أهل الخير والصلاح وصاحبه يشعر به ، والشيطان يكون مسلطا عليه من جميع الجهات ينزع عنه ذلك الثوب . وقد حذرنا الله تعالى من ذلك . فكن حذرا مستيقظا لمكائد الشيطان ومن شركه ، ومما يعينك على ذلك كثرة الوضوء وتلاوة القرآن وذكر الله تعالى فى السر والعلن والصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم مع المحبة ومدحه صلى الله عليه وآله وسلم بالشوق إليه وبر الوالدين ودعاؤهم لك بالخير وصلة الأرحام ودعاؤهم لك بالخير ومحبة الصالحين أحياء وأمواتا وزيارة مشاهدهم وحج بيت الله الحرام وكثرة الطواف بالبيت العتيق والوقوف بعرفة والدعاء عند المشعر الحرام والسعى بين الصفا والمروة ومبيتك بمنى فى أيام التشريق ورمى الجمار ، يستحب لك فى جميع المواطن أن تستعين بالله تعالى من الشيطان الرجيم ومكائده وشركه ، وعند صلاتك الركعتين فى الروضة الشريفة النبوية وعند مواجهة النبى صلى الله عليه وآله وسلم والتسليم عليه بالمحبة والشوق والأدب وعند وقوفك للدعاء فى محراب الوحى وعند زيارتك لأهل البقيع رضى الله تعالى عنهم . جميع هذه المواقف يستجاب فيها الدعاء فلا تنس الاستعاذة بالله من الشيطان ما دمت حيا فإنه لاعدو لك كالشيطان الرجيم ، ولا يغلب الرجال العقلاء والأقوياء إلا الشيطان الرجيم ، ولا تستطيع رده

إلا بالله تعالى ، ومما يضر المريد فى سلوكه نسيانه للشيطان والتعوذ منه ، والله تعالى فى القرآن العظيم أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم . وعند إعطائك الصدقات للفقراء والمساكين وعند إفطارك إذا كنت صائما وفى الأسحار وعند نزول المطر وعند خشوعك وبكائك من خشيته استعذ بالله من الشيطان الرجيم ومن غروره ودسه وتضليله ووساوسه وأمانيه ظاهراً وباطناً قولا وفعلا فى جميع حركاتك وسكناتك وخطراتك وأنفاسك كلها دائما أبداً سرمداً إلى الممات . فإذا فعلت ذلك حُفظت بإذن الله تعالى من الشيطان الرجيم الذى هو أكبر عدو للإنسان ، وعليك يا أخانا فى الله تعالى بالمواظبة على الحصون المنيعة التى كتبها شيخنا رضى الله تعالى عنه صباحاً مرة ومساء مرة فإنها مفيدة جداً للحفظ من الشيطان الرجيم .

وصيـــــة عظيمة

وعليك بهذه الوصية التى هى أغلى من الذهب والفضة والتى تجعلك تسبق ركاب الخيل الجياد فى ميدان السباق والتى توصلك بإذن الله تعالى إلى مناك إلى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهى :

إذا أردت أن تقرأ العظيمية أو غيرها من الصلوات الأحمدية فعليك أن تكون متوضئاً مستقبلا القبلة جاثياً على ركبتيك غاضاً من أطرافك متوجهاً بقلبك وروحك إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، متخيلا صورته المحمدية بقلبك ناظراً إليها نظر الشهود الحقيقى ، وبذلك تزال عنـك الحجب إلى المشاهد صلى الله عليه وآله وسلم . فينظر إليك كما تنظر إليه ويحبك كما تحبه ويمدك بنظراته العالية وروحه النورانية فتهتز روحك كما يهتز الغصن الأخضر حينما يسقى بالماء ولا سيما إن كان ذلك فى مكان خال بعد صلاة الصبح

أو فى جوف الليل فإذا ظهر لك شىء فلا تخبر أحداً إلا شيخك الذى أخذت عن يده الطريق ، وإذا لم ترى شيئاً فاصبر حتى يتم لك الأمر وتستوى وتستحق ذلك .

قال تعالى : « فلما بلغ أشدَّه واستوى آتيناه حكما وعلما » فعليك بالمحافظة بهذه الفائدة الفريدة العزيزة ولاسيما إن كنت بالمدينة المنورة فى مسجده صلى الله عليه وآله وسلم . فإن ذلك يكون أفضل وأسرع وأقرب لما تريد ، واعلم أنه صلى الله عليه وآله وسلم هو الغاية والمقصد الأسنى . الموصل إلى المشاهدة الإلهية التى هى من وراء العقول والمحسوسات .

وبنوره صلى الله عليه وآله وسلم وبالوصول إليه صلى الله عليه وآله وسلم يكون الواصل مخاطِباً ربه سبحانه وتعالى « حتى لا أرى فىَّ وفى كل شىء وفى لا شىء إلا إياك » ، ويقول أيضاً « حتى أُشاهدك مشاهدة خارجة عن المحسوسات والمعقولات » .

إذ هو صلى الله عليه واله وسلم جبل طور التجليات المكلم منه موسى نفس بأنه « لا إله إلا أنا » فى حضرة القدس .

فإذا علمت ذلك فلا دُنُوَّ لك إلى موقف ماوراء الوراء فى مقام السماع العام حتى تخلع نعليك فى الوادى المقدس وهو محبة النبى صلى الله عليه وآله وسلم مَحَبَّة تزيد عن نفسك ووالديك وأولادك ، فقد أخرج البخارى رحمه الله تعالى عن أنس رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه واله وسلم قال : « لا يُؤمنُ أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين » . وبذلك الحب تدنو بعون الله تعالى ومشيئته إلى طور التجليات الذى به تصل إلى ما وصل العارفون وتغترف مما اغترفوا منه وتشرب مما شربوا منه . فى الدنيا والآخرة قال تعالى : « وسقاهم ربهم شراباً

طهورا . إنّ هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكورا » .

ومن أعظم السعى المشكور حبك له صلى الله عليه وآله وسلم والهجرة إليه كالصحابة رضى الله تعالى عنهم المهاجرين. وسعيك إليه بعد موته صلى الله عليه وآله وسلم فى روضته الشريفة حيث أحياه الله تعالى بها حتى يرد السلام على من سلم عليه، ومن أعظم المواقف التى يقفها الإنسان فى الحياة الدنيا، ومن أشرف الأيام وأشرف الساعات : الساعة التى وقف فيها أمام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسلم عليه ورد النبى صلى الله عليه وآله وسلم عليه السلام ورآه وعرفه وكان معه فى تلك الساعة وحصلت له تلك المعية المحمدية وحصل له شرف نظره صلى الله عليه وآله وسلم له وشرف معرفته له وبركة دعائه صلى الله عليه وآله وسلم برد السلام عليه . فيالها من ساعة ويالها من نعمة أنعم بها الرحمن الرحيم الرب الكريم على عبده المؤمن المسلم فكن شاكراً لله على هذه النعمة العظيمة التى لا تقدَّر ولو أنفقت عليها ملء الأرض ذهباً لكنت أنت الرابح . أكرم بها من ساعة أكرم به من يوم .

من سمع هذا الكلام وتأخر عن زيارته صلى الله عليه وآله وسلم، وهو يستطيع فليراجع نفسه ولينظر إلى إيمانه فى قلبه ثم يستغيث بالله تعالى منادياً أى ربى أغثنى بغوثك السريع وخذنى لتوفيقك إلى زيارة هذا النبى الشفيع صلى الله عليه وآله وسلم ، ومُنّ علىّ برحمتك الواسعة وفضلك الكبير كما مننت على إخوانى الزائرين له صلى الله عليه وآله وسلم .

أيها المريد يجب عليك دائماً أبداً سرمداً أن تنظر إلى حب النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى قلبك وأن تزنه بميزان القرآن والسنة وهل هو أحب إليك من نفسك ومن أولادك ووالديك ؟ وهل قلبك مشتاق إليه صلى الله عليه وآله وسلم ؟ وهل عيناك تبكى عليه شوقا ؟ وهل لسانك يمدحه لأن

مدحه من العبادة وهل أنت تصلى وتسلم عليه صلى الله عليه وآله وسلم كثيرا ؟ وهل قلبك يحب متابعته صلى الله عليه وآله وسلم ؟

فإذا كنت كذلك فأبشر بالسعادتين فى الدنيا والآخرة .

وإذا لم تكن كذلك فعليك يا أخانا بالجد والجهاد ومجاهدة نفسك وقراءة كتب الصوفية وقراءة كتب المحبين كالغزالى والنبهانى لعل الله يَمُنّ عليك كما منّ الله عليهم إنه جواد كريم .

قال شيخنا حبيب الله الشنقيطى رحمه الله : من أخذ الطريق وثابر عليه فعليه بالمجاهدة وقراءة كتب الصوفية المرشدين ففى ذلك فتح له إن شاء الله تعالى ، وأما طريقتنا المحمدية الأحمدية فقد أخبرنا شيخنا العارف بالله تعالى الشيخ سيدى أحمد بن إدريس رضى الله عنه بأن الذى يتولى تربية الآخذين لأوراده النبىُّ صلى الله عليه وآله وسلم ، ولذلك يجب عليك أيها المريد المحمدى الأحمدى أن لا تلتفت إلى شىء سوى النبى صلى الله عليه وسلم وأن تعتقد ذلك بقلبك عند قراءتك للأوراد ، وفى جميع أحوالك وتطوراتك مع حبك لشيخك الذى أخذت عنه الطريق وسماعك لكلامه واتباعك لإرشاداته فإنه يمثل شيخ الطريق بالخلافة والنيابة فلا تخالف له امراً . وتأدب معه بالآداب التى كتبها الصوفية فى كتبهم ولا تلتفت إلى شيخ غيره مهما كان حاله فإن ذلك من القواطع ولا تتعرف إلى شيخ غيره حتى يتم أمرك ويفتح بابك ولذلك ورد عن السيد الشيخ ابن السنوسى رضى الله عنه أن هذا الطريق كان يسميه صاحبه بالطريقة المحمدية والأحمدية قلت أما تسميتها بالمحمدية لأنها أخذت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأما تسميتها بالأحمدية فنسبة إلى شيخ الطريق رضى الله عنه ، ولا تسمى بالإدريسية فإن ذلك لم يرد عن الأشياخ المتقدمين لأن كلمة أحمدى نسبة إلى الطريقة الأحمدية ، وأما كلمة إدريسى فنسبة إلى مولانا إدريس الأكبر وأنه من ذريته فلا يجوز لأحد أن يقول أنا إدريسى إلا إذا كان منتسبا إلى مولاى إدريس رضى الله عنه.

فصل

وإذا أصاب المريد عَجْز وكسل عن قراءة أوراده واعترته السآمة فعليه بزيارة مشاهد الصالحين فإنها شفاء للقلوب وتنشط الإنسان إلى العمل الصالح وتُنَهِّضْ الروح إلى المعالى ، وإذا زرت فزرْ بروحك وقلبك لا بجسدك حتى تلتقى روحك بروح من تزوره ويحصل التعارف القديم كما قلت بفضل الله تعالى فى المنظومة المسماة روضة القلوب والأرواح :

فبالأرواح زوروا إن أردتم زيارتهم وكونوا معتنينا
ويحصل أنس أرواح تآخت قديما فى زمان الغابرينا

وكذلك عليك بالوضوء وبالإكثار من قراءة الإخلاص والمعوذتين وسورة « ألم نشرح » وقراءة الفاتحة إلى شيخ الطريق حتى يكشف الله عنك ما أنت فيه ، وإذا مال قلبك إلى شيخ آخر أو إلى طريق آخر فعليك بتذكر قول شيخك رضى الله عنه إنك فى كفالة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وتربيته فلا تطلب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم شيخا لتربيتك ، واعلم أن ذلك من الشيطان وبه يُحجبُ المريد عن أسرار الطريق وعن إمداداته وعن وارداته نعوذ بالله من ذلك ، ولا تَبخس طريقا آخر غير طريقك فإنهم على هدى من ربهم ، وإنما لكل شيخ سلوك يختص به ، ولا تقل لأحد من أهل الطريق طريقتنا خير من طريقتكم أو شيخنا خيرٌ من شيخكم فإن ذلك من إساءة الأدب مع المشايخ ومن القواطع .

ولا تمد يدك إلى يد أحد لتأخذ عنه طريقا بعد إذ مددتها إلى شيخك فإن ذلك والعياذ بالله فيه الضرر نعوذ بالله من الخلْط ، كما أن للإنسان أباً واحداً كذلك فى الطريق له شيخ واحد لأنك إذا سلكت طريق شيخ وكنت محبا له انتقل حاله الذى كان فى الدنيا عليه إليك بمعنى أن روحك تعمل مثل عمله

فإن كان عالما مالت إلى العلم ، وإن كان فى خلوة مالت إلى الخلوة ، وإن كان فى عُزلة مالت إلى العزلة ، وإن كان فى جَذْب مالت إلى الجذب ، وإن كان فى تلاوة قرآن وتدريس وعلم مالت الروح إلى ذلك حتى تكون فى الدنيا حياته كحياة شيخه ، وهذا يسمى مقام الوراثة يتأتى بالمحبة وتلاوة الأوراد واقتفاء أثر الشيخ ، وكل شىء كان الشيخ فى حياته لا يفعله فإنه اليوم فى برزخه لا يحبه ولا يحب فاعله نعوذ بالله من ذلك ، ومن صفات شيخنا رضى الله عنه أنه كان يحفظ القرآن وكان كثير التلاوة له وكان يحفظ الحديث والفقه وسائر العلوم وكان كثير التدريس طول حياته وكان من قوامى الليل وكان من الكرماء وكان من الزاهدين وكان من المجتهدين فى العبادة وفى ذكر الله وفى قراءة العلم وكان من أهل الفيض الرحمانى حتى إذا جلس يُدرّس التفسير يفتح كفيه فيقرأ منهما مايشاء وإذا سئل عن الحديث نظر إلى ظهر كفيه ثم يقرأ ما يشاء ولما كبر سنه صار يقرأ من غير أن ينظر إلى كفيه كل ذلك من خوارق العادات ومن الكرامات التى اختص الله بها أولياءه الصالحين .

وإذا حدثتك نفسك بأنك خير من إخوانك فإن ذلك من دسائس النفس أو أنك تعلم الغيب أو أنك شيخ مع الشيخ فذلك غرور فلا تلتفت إليه وكن متواضعاً لإخوانك . قال الشيخ أبو مدين رضى الله عنه .

فانهض إليهم وتأدب فى مجالسهم واجعل نصيبك مهما قدموك ورا

ومن كلامهم رضى الله عنهم من جلس مع الأولياء وظن فى نفسه أنه منهم حُرم من بركاتهم . فلا ترى نفسك بين إخوانك إلا أنك من أقلهم لعل الله أن يَمُنّ عليك بما مَنّ به على المتواضعين المنكسرين ولا تتهجم على الغيب ولا تتكلم به ، فإنك إن كنت صادقا فقد خالفت طريق القوم من أنهم يحبون الستر وإن كنت كاذباً فتلك صفة شنعاء وقد حذر منها أهل الطريق مريديهم .

الفصـــل الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمـد وعلى آله وسلم ، شرح « واجمع بيني وبينه كما جمعت بين الروح والنفس »

واجمع فى ذاتى بين صفاته صلى الله عليه وآله وسلم الـكاملة وبين صفات نفسى الناقصة كما جمعت بين صفات الروح الـكاملة وصفات النفس الناقصة ، وعند حصول الجمع يحصل المحو لأن صفات كمالاته صلى الله عليه وسلم كالنهار وصفات النفس كالليـل . فبإشراق شمس أنوار كمالاته صلى الله عليه وسلم النورانية تمحو حوالك صفات النفس الظلـمانية . فينقل من ظلمة ليل نفسه التى لا يشاهد معها شىء إلى نور نهار أنواره صلى الله عليـه وسلم المبصرة فيبهره بها صلى الله عليه وسلم « فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة » فيشهده صلى الله عليه وسلم بعين البصيرة فيحصل بذلك الجمع المشاهدى وبعده يحصل الجمع الحقيقى فالجمع الأول المنامى وهو الوسيلة الـكبرى إلى الجمع المشاهدى ثم الجمع المشاهدى ثم الجمع الحقيقى ، وأشار رضى الله عنه إلى الأول بقوله (ومناماً) وإلى الثانى بقوله (وباطناً) وإلى الثالث بقوله (يقظة) والمشاهدة الرابعة وهى أعلى المشاهدات أشار إليها بقوله :

« واجعله يارب روحاً لذاتى من جميع الوجوه » .

كما قال سيدى المرسى أبو العباس رضى الله عنه : لو غاب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسى من المسلمين وكما قال سيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه .

من لى بإتلاف روحى فى هوى رشا ... حـلو الشمائل بالأرواح ممتزج

فقول سيدى أحمـد بن إدريس رضى الله عنه (واجعله يارب روحاً لذاتى) وقول سيدى ابن الفارض رضى الله عنـه (بالأرواح ممتزج) يتحدان معنى وإن اختلفا لفظاً .

وأما قول مولاى الشريف السيد أحمد بن إدريس رضى الله عنه :

(اجتمعت بالنبى صلى الله عليه وسلم وبسيدنا الخضر عليه السلام اجتماعاً صورياً) فمعناه اجتماعاً حقيقياً ، وهو الاجتماع الذى تقدم ذكره . وفى عام ١٣٨٥ هـ جاءنى رجل صعيدى وقال عندى كلام لولا أننى أمرت من جهة عليا بتبليغه لك ما أخبرتك به . اعـلم يا أخى أنى كنت جالساً بدرسك بالجامع الأزهر الشريف بعد صلاة الجمعة وكنت تقول فى درسك (كان الجلال السيوطى يتذاكر علم الحديث مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان السيوطى يعرض عليه الأحاديث النبوية) . قال الرجل : فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم يقظة جالساً بجوارى فقال صلى الله عليه وسلم : (قل لابنى هذا يجتهد مثل ما اجتهد السيوطى حتى يرانى مثله) ، وجاء رجـل يمر بيننا فأردت أن أمنعه فقال : صلى الله عليه وسلم . دعه فإننى (صلى الله عليه وسلم) نور .

فلما أخبرنى بهذا الـكلام أخذتنى الدهشة وتعجبت . فقال لى والله لولا أننى أمرت أن أخبرك ما أخبرتك ، وكان يحدثنى بذلك فى صحن الأزهر فرأيت رجلا جالساً إسمه (أحمـد محمود من بلدة موشا بأسيوط) . فجئت به إليه وقلت له اسمع يا شيخ إلى ما يقوله هذا الرجل فأخبره الخبر .

قال صالح الجعفرى كان الله له معيناً : رؤية السيوطى رضى الله عنه للنبى ﷺ يقظة والتحدث معه . قد أخبر به شيخى المحدث الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى فى الدرس وسمعته منه مراراً ، ومما من الله به على أننى لازمته نحو خمس عشرة سنة وكنت المقرىء له فى الدرس فى كتابه المسمى (زاد المسلم فيما

اتفق عليه البخارى ومسلم) وكان يبدأ بالحـــديث فيغوص فى بحر التراجم وشرح الحديث ويأتى بتفسير آيات قرآنية ومسائل فقهية وأصولية ، وغير ذلك فقـد كان يحفظ القرآن بالقراءات ومعه بذلك إجازة من بلاده وألـف كتاباً أسماه (تيسير العسير فى علوم التفسير) ، وله نظم فى القراءات السبع حلت من رموز الشيخ الشاطبى رحمه الله وله منظومة فى أدلة التوسل وكان يقول لى (عليك بشرحى على زاد المسلم فإننى ما تركت فيه شاذة ولا فاذة) وكنت أقرأ درساً فى مكان درسه قبل حضوره فإذا عاكسنى بعض الإخوان يهمس لى فى أذنى عند حضوره ويقول لى : يعاكسونك وأنت خير منهم أنت بركة الدرس .

ثم يجلس على الكرسى ويأتى فى درسه بكل مسألة ذكرت بعضها فيتممها أو محرفة فيعدلها وحصل ذلك منه مراراً وكان له حب عظيم لمولانا الشريف السيد احمد بن إدريس رضى الله عنه وذريته (ذكرت ذلك للمناسبة الطيبة) وأقول : سمعت قصـــة السيوطى أيضاً من شيخى الشيـــخ يوسف نصر الدجوى رحمـه الله وكان أيضاً من العلماء العارفين وقد لازمت درسه بعد صلاة الصبح بالجامع الأزهر الشريف بالرواق العباسى سبع سنين .

وكان السيد الحسن الإدريسى إذا جاء من السودان يلقانى فى درسه وبعد الدرس يسلم على الشيخ فيفرح فرحا عظيما ويقول السيد أحمـد بن إدريس رضى الله عنـه قطب لا كالأقطاب وكان الشيخ الدجوى قد أخـذ الطريقة الإدريسية عن شيخى السيد الشريف رضى الله عنه ، والشيخ الدجـوى من هيئة كبار علماء الأزهر وله مؤلفات نافعة ومقالات قيمة فى مجلة الأزهر الشريف ، ولما نظمت المنظومة المسماة (البردة الحسنية الحسينية) . أهديت إليه نسخة فلما قرأها قال لى فى اليوم الثانى (المنكرون يكفرونك ياشيخ صالح)

وقد حضرت عليه التفسير من سورة محمد صلى الله عليه وسلم إلى آخر سورة الناس ثم ابتدأ شرح البخارى بعـده ، وكان يحفظ القرآن العظيم بالتجويد والقراءات ويذكر أقوال المفسرين ويعرب الآية إعراباً دقيقاً ويبين الألفاظ اللغوية فيها ويتعرض للأحكام الفقهية على المذاهب وكان يقرأ الحديث بالسند ويترجم لرجاله ترجمة طريفة ، ويذكر أقوالا كثيرة عن شراح الحـديث ، وكان له الباع الطويل فى مسائل التصوف والانتصار للصوفية ، وله أبحاث كثيرة قيمة فى أدلة التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم . ذكر أكثرها فى مجلة الأزهر المسماة (بنور الإسلام) فعليك بهذه المجلة لأجل أقوال هذا الشيخ فإنها نافعة جداً .

(لطيفة) كان رحمه الله مرة يقرأ حديث سؤال القبر فى البخارى وكنت قد ذاكرت شرح الكرمانى على البخـــارى ورأيت فيه أن النبى صلى الله عليه وسلم يظهر للمسئول عند قول الملك له (ما تقول فى هذا الرجل) وبعد انتهاء الدرس قبلت يده وقلت له يقول الشيخ الكرمانى أنه صلى الله عليه وسلم يظهر للمسئول . فوكزنى فى صدرى وقال لى (أنا ذاكرت شرح الكرمانى واطلعت فيه على هـذه المسألة لِمَ لم تذكرنى بها فى الدرس حتى يسمعها منى الناس) ، ومرة كان يتكلم على رؤية النبى صلى الله عليه وسلم مناماً فقال وإن الشيطان لايتمثل به صلى الله عليه وسلم ، إذا جاء فى صورته الأصلية ، والمعتمد أنه أيضا لا يتمثل به إذا جاء فى غير صورته الأصلية .

فقلت له روى شيخنا السيد أحمد بن إدريس رضى الله عنه فى كتابه المسمى « روح السنة » أنه صلى الله عليه وسلم قال : (من رآنى فقد رآنى فإنى أظهر فى كل صورة) ففرح فرحاً عظيماً وقال لى هذا الحديث هو الدليل على أن الشيطان لا يتمثل به صلى الله عليه وسلم ولو جاء فى غير صورته الأصلية أنت مبارك ياشيخ صالح نفع الله بك المسلمين .

(١) (واجمع بيني وبينه) جمع إصلاح كما أصلحت الروح النفس بعد الجمع قال تعالى (قد أفلح من زكاها) . من معانيها والله أعلم قد أفلح من زكى نفسه بروحه إذا غلب أنوار روحه ورغباتها على ظلمات نفسه وشهواتها .

(٢) جمع دفع العذاب قال تعالى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) من معانيها والله أعلم وأنت معهم كما فى قوله تعالى (وفيكم رسول الله) . أى ومعكم رسول الله وتشمل هذه المعية العامة أنواع الجمع الذى قد قدم لك آنفاً .

(٣) جمع العلم والحكمة كما قال تعالى (ويعلمهم الكتاب والحكمة) وقد يحصل ذلك بواسطة النور المحمدى . قال شيخى الشنقيطى رحمه الله كان الاعرابى القادم من البادية إذا رأى نور وجه النبى صلى الله عليه وسلم نطق بالحكمة ثم ذكر الشيخ هذا البيت لعلماء شنقيط يمدح أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم .

نور النبى اغناهم عن التهجى   ليس الجياد كالبغال العرج

قال الصوفية ومن هذا القبيل سؤال الاعرابى للنبى صلى الله عليه وسلم عن ناقته أيرسلها ويتوكل أم يعقلها ويتوكل ؟ فبواسطة النور المحمدى تعلم كيف يسأل وأن الأخذ فى السبب لا يتنافى مع التوكل .

(٤) جمع التزكية . قال تعالى (ويزكيهم) فمن معانيها والله أعلم تزكية الروح للروح فى عوالم الجمع المقدم ذكره .

(٥) جمع الحرص النبوى على روح المؤمن وهو عام وخاص ، والمراد هنا الخاص لاسيما للآخذين للطريقة الأحمدية حيث وكلهم شيخهم إلى النبى صلى الله عليه وسلم كفالة وتربية وتهذيباً وإرشاداً وعناية وحفظاً ولعل ذلك من خصوصية هذا الطريق الذى كان يقول صاحبه رضى الله عنه : (طريقنا هذا هو الطريق المحمدى طريقنا هذا هو الكتاب والسنة) .

(٦) وجمع النفاسة وهو الحاصل بسبب الجمع بالأنفس ، وهو الأكمل والأحسن والأفضل والأجمل والأعلم والأكرم والأشرف والأرفع والأشجع والأنفع والأرأف والأورع والأصلح والأطيب والأزكى والأرقى والأول والآخر ، وهذا كله يدخل فى معنى قوله تعالى « من أنفَسكم » كما قرىء بفتح الفاء .

(٧) وجمع العزة وهو من معنى قوله تعالى : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز » ومن معانى عزيز أنه الذى لا نظير له وأنه الذى لا يغلبه غالب ولقد يحصل لصاحب هذا الجمع التفوق على نظرائه فى زمانه والغلبة على أعدائه بإذن الله .

(٨) وجمع الرأفة المحمدية الذى فى قوله تعالى : « بالمؤمنين رءوف » فتحيط به الرأفة المحمدية التى لا تعادلها رأفة لمخلوق فى الدنيا .

(٩) جمع الرحمة الذى فى قوله تعالى : « بالمؤمنين رءوف رحيم » وفى قوله تعالى : « فبما رحمة من الله لنت لهم » . هذه الرحمة الخاصة فأما الرحمة العامة ففى قوله تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » . فيجمع معك فى الجمع رحمتان عامة وخاصة يحيطان بك كالجناحين للطائر تسبح بهما فى غرائب عجائب حدائق نفحات بركات الرحمة المحمدية . كما أشار إلى ذلك شيخنا أبو المعالى والد سيدى عبد العالى ذو العلم النفيس السيد أحمد بن إدريس رضى الله عنه بقوله « ويكون لسان رحمة ذاتى من جميع جهاتى يتلو فى جميع جهات الخلق آية الرحمة الإلهية المطلقة « ورحمتى وسعت كل شىء »

(١٠) وجمع الشاهد ليكون صلى الله عليه وسلم شاهداً لك يوم القيامة على طاعاتك وحسناتك وهى أعظم الشهادات لك .

(١١) وجمع البشرى التى تحصل لك منه صلى الله عليه وآله وسلم فى كل جمع سواء كان فى اليقظة أو فى المنام وهذه البشرى خاصة للذين قال الله تعالى

فيهم « لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » . أما البشرى العامة ففى قوله « وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيراً » وفى قوله تعالى : « فبشر عبادِ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » فتكون معك البشرى العامة والخاصة ينهضانك نهوض الظمآن وارد المنهل العذب .

(١٢) وجمع النـذارة الذى فى قوله تعالى « ونذيراً » فينذرك نور جلاله من مخالفة مقاله وهو صلى الله عليه وسلم صاحب الجمال المحاط بالجلال كما قال سيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه .

بجمـال حجبته بجـلال　　هام واستعذب العذاب هناك

(١٣) وجمع التنوير . الذى ينور قلبك ويوقد سراجه ، وذلك فى قوله تعالى (وسراجاً منيراً) أى الذى يسرج بنوره سُرُج القلوب المطفآت وبه تشرق أرض جسمك بنور ربها كما قال سيدى أحمد بن إدريس رضى الله عنه (وأشرقت أرض جسمى بنور ربها ووضع الكتاب الذى ما فرط الله فيه من تجلياته الذاتية من شىء) .

وهذا الكتاب لا يتلى إلا بواسطة النور المحمدى والمراد به هنا العلم اللدنى بالواسطة المحمدية .

(١٤) وجمع الخلق العظيم . الذى فى قوله تعالى : « وإنك لعلى خلق عظيم » فيسرى منه صلى الله عليه وسلم لصاحب الجمع من خلقه العظيم ما يكسبه حسن الخلق سرياناً كسريان الماء فى غصون الشجر وبذلك يكون متخلقاً بالأخلاق المصطفوية المحمدية .

(١٥) وجمع البيعة الإلهية الذى فى قوله تعالى : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم » . فيحصل لك فضل البيعة حيثما تصافحه

بيدك فى أى جمع من هذه الجموع وهنا مشاهدة ذوقية لأرباب القلوب لا تدرك إلا بالقلوب ولا توضع فى الأوراق وإنما تتنزل من الملك الخلاق على قلوب الذين ارتضاهم لهـذا السر المصون والكنز المكنون وهو سر قوله تعالى : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله » والمعنى كأنما يبايعون الله .

(١٦) وجمع الاستقامة الذى فى قوله تعالى : « فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا » فيحصل لك سر الاستقامة على الطريقة المحمدية من غير زيغ ولا طغيان وهو المراد بقول شيخنا القطب النفيس السيد أحمد بن إدريس رضى الله عنه فى قوله « حتى أكون على القدم الراسخ الذى لا تزلزله شبهةٌ بوجه من الوجوه » .

(١٧) ويحصل له جمع تجلى الأفعال الذى فى قوله تعالى « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى »

وهو المراد بقول شيخنا النفيس السيد أحمد بن إدريس رضى الله عنه : حتى لا أرى فىَّ وفى كل شىء وفى لا شىء إلا إياك » .

الفصل الرابع

جواهر من الأحزاب الأحمدية

جمعها العارف بالله تعالى الشيخ صالح الجعفرى ٢٧ شوال سنة ١٣٨٤هـ

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمـــد وعلى آله فى كل لمحة ونفس عدد ماوسعه علم الله .

قال سيدنا ومولانا الشريف أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه (حتى تكون شمس الألوهية من تجلى الاسم النور الإلهى تجرى فى قلب الأفلاك الإنسانية لمستقر لها فى سماء الروح «ذلك تقدير العزيز العليم» وقمر الشرائع الإلهية المقدر على الجوارح التكليفية سابح فى منازل الأحكام الشرعية بالاتباع المحمدى منزلة حتى عاد كالعرجون القديم كما بدأنا أول خلق نوراً إلهياً نعيده حتى لاينبغى لشمس حقيقتى أن تدرك قمر شريعتى فيقع خسوف التخليط ولا لليل غيب سرى أن يسبق نهار روحى فى الوجد والشهود وكل فى فلك حقيقة الحقائق التى هى بحر التوحيد الكبرياء الإلهى يسبحون حتى تكون ذاتى كلها نوراً ذاتياً إلهياً صرفاً من جميع الوجوه) .

قوله رضى الله عنه (فتتراكم الأنوار الإلهية فى ذاتى بعضها على بعض «نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ») :

الإيمان نور ومقره القلب والأعمال الصالحة نور ومقرها الجوارح فمن آمن وعمل صالحا فقد جمع بين نور العمل والعقيـدة (نور على نور) ولا يهتدى للنورين إلا بالنور المحمدى والسراج الأحمدى صلى الله عليه وعلى آله وسلم (وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم) فيهدى الله سبحانه وتعالى عباده

بالنور المحمدى إلى النور الإيمانى والنور العملى (يهدى الله لنوره من يشاء) . لكل اسم من أسمائه تبارك وتعالى مظهر عام كمظهر اسمه تعالى النور الذى استنارت به السموات والأرض ، ومظهر خاص وهـو النور الذى يستنير به المؤمن فى نفسه ، ويسمى ذلك النور شمس الألوهية ، وكما أن شمس السماء تجرى فى أفلاكها العلوية لمستقر لها كذلك شمس الألوهية تجرى فى قلب الأفلاك الإنسانية فى تقلب (قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء) . فلا يزال المؤمن يترقى بجريان شمس الألوهية فى قلب الافلاك الإنسانية فى حالتى القبض والبسط (والله يقبض ويبسط) ولا تزال تجرى تلك الشمس إلى مستقر لها وهو تغلب الروح على الجسد المسمى بسماء الروح وبعد ذلك يستوى عنده القبض والبسط ويكون ثابتاً أمام القبض الذى هو اختبار له وأمام البسط الذى هو اختبار له فيرجع إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم (اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك) . (ذلك) الذى تقدم ذكره من جريان شمس الألوهية فى قلب الافلاك الإنسانية (تقدير العزيز) الذى عز عن أن تدرك العقول المستنيرة بشمس الألوهية كنه ذاته العلية بل تزداد حيرة ، وحيرتها معرفتها ولذتها قال سلطان العاشقين سيدى عمر بن الفارض رضى الله تعالى عنه :

* زدنى بفرط الحب فيك تحيرا *

(العليم) الذى يعلم بقلوب المحبين والعاشقين فيرحمهم بتجلياته الرحمانية الرحيمية * وارحم حشا بلظى هواك تسعرا *

(وقمر الشرائع الإلهية) هو الواجبات والمنهيات (المقدر على الجوارح التكليفية) المكلفة بالفعل والترك (سابح فى منازل الأحكام الشرعية بالاتباع المحمدى) وهو المسارعة عند فعل الواجب وعند ترك المنهى (منزلة بعد منزلة) فى الأوامر والنواهى (حتى عاد كالعرجون القديم) ملتوياً على جميع الجوارح

فلا تتصرف جارحة إلا بأمر إلهى مسموع بالأذن وأمر ربانى الهامى مسموع بالروح

قال سيدى محيي الدين بن العربي رضى الله تعالى عنه إذا اتصل القلب وصفت الروح يقف الإنسان بذلك فى مقام السماع الالهى فيسمع قلبه دائماً وأبداً أوامر الأمر والنهى بطريق خرق العادة بالإلهام وعند ذلك لاتتصرف له جارحة إلا بإذن صريح من الحضرة الإلهية . ا . ه

(كما بدأنا أول خلق نوراً إلهياً) . لأن الروح فى بدء خلقها كانت نورانية بنور محض لا تعرف المخالفة فمن وصل إلى مقام المشاهدة وجرت فى قلب أفلاكه الإنسانية شمس الألوهيــة صار روحانياً محضاً نورانيا . (حتى لا ينبغى لشمس حقيقتى أن تدرك قمر شريعتى فيقع خسوف التخليط) إذا وصل العارف إلى تجلى الأفعال وهو مظهر قوله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) وذلك بسبب جــريان شمس الألوهيـــة فيدركه اللطف الإلهى فلا ينسى الأسباب التى هى مناط التكليف فلا يترك واجبا ولا يفعل محرماً ، وأما إذا تغلبت شمس حقيقته على قمر شريعته اختفى قمر شريعته فينسى الأسباب فيترك الواجب ويفعل الحرام ويقول كل شىء بقضاء وقدر، وأنا لا شىء لى فيما أفعل وهذا هو خسوف التخليط الذى به يسقط الجاهلون فى الضلالة بعد الهدى وفى الظلمة بعد النور (ولا لليل غيب سرى أن يسبق نهار روحى فى الوجد والشهود) ، وهــذا الليل هو عبارة عن مشاهدة الإنسان عدم نفسه فيقول (أنا الله) ونهار روحه هو مراعاة أنه مخلوق لله يحركه كيف شاء فهو مظهر للذات الأقدس ومظهر الشىء أى أثره ليس هو وبذلك يدخل فى حقيقة الحقائق التى هى بحر التوحيد الكبرياء الإلهى ويرى نفسه عبــداً لله فى جميع مقامات التجليات والكشف والشهود كما قال سبحانه وتعالى واصفاً نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالعبودية فى مقام التجلى والرؤية والمشاهدة والمكالمة الإلهية (فأوحى إلى عبده ما أوحى) .

قال رضى الله تعالى عنه وأرضاه ونفعنا بعلمه النفيس مولانا وسيدنا السيد احمــد بن إدريس (حتى تكون ذاتى كلها نوراً ذاتيا إلهيا صرف من جميع الوجوه) . اعلم أن الروح ترى من جميع جهاتها فهى كلها وجوه وأعين ناظرة إلى وجه الحق سبحانه وتعالى عند تصيير الذات نوراً ذاتيا إلهياً بنور الإيمان ونور العمل الصالح قال تعالى : (فأينما تولوا فثم وجــه الله) . أى فأينما تولوا بوجوه أجسامكم وأينما تنظروا بأبصار أرواحكم فهناك وجه الله تبارك وتعالى يراكم ويسمعكم من غير كيف ولا إدراك لوجهه تبارك وتعالى . قال سيدى الشريف احمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه (أسألك بسلطان تجليات عظمة ذاتك الظاهر فى قائم أحدية تجليات أسمائك وصفاتك التى لولا لطفك بحجبك النورانية الرحمانية لاحترقت صــور الكون كلها وتهافتت فى عين العدم من سطوات تجليات كبرياء جبروت سبحات وجهك العظيم الذى هو مجمع العظمات الذاتيات الإلهيات الذى انخرقت فيه الأوهام وانطمست ولم يبق لها فيه تصور بوجــه من الوجوه) ولما كان مقام العبودية من أجل المقامات وأشرفها سأل السيد رضى الله تعالى عنه ربه أن يجعله عبدا بقوله (واجعلنى يا إلهى لك عبداً محضا عبودية خالصة لارائحة ربوبية فيها على أحد من خلقك) ، ولما كانت العبودية أنواعا: عبودية الدرهم والدينار وعبودية الخميصة وعبودية الهوى وعبودية النفس وعبودية الشهوات وعبودية الكبرياء وعبودية الربوبية على الخلق وعبودية الغفلة . إلخ . اختار السيد رضى الله تعالى عنه أشرف عبودية وهى المحضة أى الخالصة لله تعالى التى تغاير جميع العبوديات التى منها الربوبية على الخلق ولما كان الموقف يحتاج إلى تثبيت سأل ربه سبحانه الثبات وعدم التحول عنها لأجل الشبهة وهى التى تجعل بعض الناس يقول (أنا الله) ، ويترك التكاليف الشرعية ، ولكن الراسخون يدخلون

مقام جمع الجمع بعبوديتهم وهو التسليم للقضاء والقدر كما قال الشيخ الدردير رضى الله تعالى عنه .

وجد لى بجمع الجمع فضلا ومنة   وداو بوصل الوصل روحى من الضنا

ووصل الوصل هو المعرفة التى بها يعرف العارف نفسه ثم يعرف ربه ، وعن سيدنا علىّ كرم الله وجهه (من عرف نفسه عرف ربه) أى من عرف أنها موجودة بالله ومأمورة بأمره ومنهية بنهيه وهى تحت قضائه وقدره فلا يترك التكاليف الشرعية اعتماداً على القضاء والقدر ولا يتمسك بالأوامر الشرعية وينكر القضاء والقدر . وإنكار الأول كفر ولا يحتج به فى القضاء الشرعى ، وإنكار الثانى كفر ولا يحتج به فى القضاء الشرعى ، ومن كان كذلك لا يقع فى خسوف التخليط .

شرح على فقرات من الأحزاب

أخرج من أوصاف بشريتك عن كل وصف يناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيباً ، ومن حضرته قريباً .

قال سيدى أحمد بن إدريس رضى الله عنه : « فإذا النداء الأقدس من الكمال الإلهى المقدس أين المشتاقون . . . إلى يعملون »

قال سيدى صالح الجعفرى رضى الله عنه : « وذلك بعد التحقق بما قاله سيدى ابن عطاء ، فيرى الكون جميعاً أمامه قد وسعته رحمة الحق ونور الحق فيشتاق إلى الحق فيهاجر من سعة رحمة ونور إلى سعة رحمة ونور ، فيرى نفسه قد انتقل من بلد أى بالحق « هو الذى يسيركم فى البر والبحر » ويرى الحق لم ينتقل (ليس كمثله شىء) .

ويرى الكون فى قبضته كالكاس ويكشف له الحق عما خفى عن الناس ، قال سيدى ومولاى القطب العارف سيدى عبد السلام بن سليم الأسمر .

والدنيا فى قبضتى كالكاس   وأطلعنى على ماخفا بالناس

قال سيدى أحمد حتى اطلع على جميع خزائن أسرار الغيب الإلهى المطلق فأعلم الأمور كلها كما هى جملة وتفصيلا من غير شبهة ولا التباس .

قال سيدى صالح الجعفرى رضى الله عنه :

العلم قسمان : علم قائم بذاته سبحانه وتعالى وهذا لا يمكن لمخلوق أن يطلع عليه ولا يقبل تقديماً ولا تأخيراً ولا محواً ولا إثباتاً ، وهو خاص به سبحانه وتعالى لا يطلع عليه نبى مرسل ولا ملك مقرب .

وعلم برز وهو قسمان : قسم مكتوب فى اللوح المحفوظ فقط ، وقسم فى اللوح المحفوظ وفى صحف الملائكة وفى الكتب المنزلة ، وهذا القسم الأخير قسمان قسم ظهر متعلقهُ فى عالم الوجود وقسم لم يظهر .

ومن القسم الذى لم يظهر « يوم ينفخ فى الصور » ومن القسم الذى كان خفياً فظهر (لنعلم أى الحزبين) أى لنظهر للخلق متعلق العلم القديم .

وهذا العلم بأقسامه يجوز الاطلاع عليه بخلاف القائم بذاته تعالى .

فكما أن الملائكة الكرام أطلعهم الله على ما فى اللوح يجوز أن يطلع رسله وأنبياءه وأولياءه ولا مانع من ذلك شرعاً .

قال تعالى : (ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء) .

وقال تعالى عن الخضر عليه السلام : (وعلمناه من لدنا علماً) .

وقال تعالى : (قال الذى عنده علم من الكتاب) .

وقال تعالى : (لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) .

وهذه البشرى أقسام إما أن تكون بوحى من السماء لرسول الله ﷺ وإما أن تكون مناماً ، وإما أن تكون يقظة كما روى البخارى أن الصحابة رضى الله عنهم كان يتقدمهم النور إذا ساروا فى الظلام وكالذى حصل من سيدنا عمر رضى الله عنه وبركة الصديق للطعام .

فالروح لها جنود من الملائكة (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا) فى الجهاد أو فى الثبات على الطاعات أو فى الصبر عن المخالفات أو عند البليات أو عند الاسراء للروح مع ماحولها من الملائكة الكرام عند كشف الحجاب ومشاهدة ماوراء الوراء فى مقام السماع العام .

وتبقى النفس بجنودها وهى الجوارح يشع عليها نور الروح فى عالم

مشاهدتها فيجعلها مزجورة مقهورة جادة على منهاج القيام بالأوامر والنواهى فقامت الروح فى عالمها بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وقامت النفس فى عالمها بأداء فرائضها فلما قامت بالحسنى رزقها الله الزيادة وهى النوافل (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) .

فلما منحها الله الزيادة ورعتها حق رعايتها . (ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه) فتكرم عليها بالحب الالهى ثم تكرم عليها بلوازم الحب (فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به .. ألخ .

أى كنت موفقا له لما أحبه فلا يصدر منه شىء إلا وهو محبوب لربه سبحانه ولا يكون كذلك إلا باتباع الشريعة الغراء لذلك يقول سيدى أحمد رضى الله عنه :

قائما بالفرائض الالهية على الكمال فى عالم الجسمانيات وأشار بقوله على الكمال إلى التمسك بالسنة الغراء من إقامة النوافل وغيرها .

قال سيدى أحمد رضى الله عنه :

(فيفيض على الجميع أمواج بحر يحبهم ويحبونه) .

روحه وما معها من الملائكة الكرام ملائكة التثبيت ، ونفسه وما معها من الجوارح التى صارت مهبطا وموردا لما يحبه الله ، فصار الكل محبوبا لله محباً لله .

وعبر بالأمواج لأن المحب لله تعالى لا يزال يزداد حبا إلى ماشاء الله ، وكما أن الموج يتجدد كذلك الحب يتجدد قال ابن الفارض :

هوى أم عمرو جدد الشوق .. ألخ

الفصـــــل الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على مولانا محمد وعلى آله فى كل لمحـة ونفس عدد ما وسعه علم الله .

قال الإمام سيدى صالح الجعفرى رضى الله عنه .

قرأت فى كتاب الفتوحات المـكية للشيخ الأ كبر الشيخ محى الدين بن العربى رضى الله عنه جـ ٢ ص ٤٩٢ فى كلامه على الأنزعاج مانصه (وأما انزعاج الرهبة فمثل انزعاج الرغبة إما رهبة منه وهو قوله : وأعوذ بك منك . وإما رهبة. مما يكون منه من عذاب حسى أو عذاب حجاب وهو عذاب الجهل أو التزين وليس فى الحجب أ كثف ولا أقوى من حجاب التزين ، لان من زين له جهله فمن المحال طلب الحاصل فى زعمه ، لانه حاصل عنده وليس بحاصل فى نفس الامر ، فمن أراد أن يعتصم من التزين فليقف عند ظاهر الـكتاب والسنة لا يزيد على الظاهر شيئا ، فإن التأويل قد يكون من التزين فما أعطاه الظاهر جرى عليه وما تشابه منه وَ كلَ علمـه إلى الله ، وآمن به فهذا متبع وليس للتزين عليه سبيل ولا يقوم عليه حجة عند الله ، فإن كان من أهل البصائر فهو يدعو إلى الله على بصيرة ويتـكلم على بصيرة فقد برىء من التزين فهو صاحب علم صحيح وكان من أهل الزينة لامن أهل التزين . فالانزعاج إلى الله قد يكون رهبة من هذا أيضا والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » .

قال الشيخ الا كبر رضى الله عنه : (وأما انزعاج الرهبة فمثل انزعاج الرغبة إما رهبة منه وهو قوله : (وأعوذ بك منك) وإما رهبة مما يكون منه .

قال الامام سيدى صالح الجعفرى الشريف الحسينى رضى الله عنه مستمداً من فيض ربه الخبير اللطيف .

الانزعاج هو الخوف . والرهبة هنا : الخوف مع المحبة ، والرغبة : الرجاء مع المحبة قال تعالى : « يرجون رحمته ويخافون عذابه) مع سبق قوله تعالى : (يحبهم ويحبونه) ، وهذا معنى قول الشيخ ، وإما انزعاج الرهبة فمثل انزعاج الرغبة ـ هذا بالنسبة لله تعالى : وأما الرهبة والرغبـة فى المخلوق فتختلف . الخوف مع الرهبة وعدم الخوف مع الرغبة لان الله تعالى له صفة تسمى الجلال هى منشأ الخوف منه للمرسلين والمقربين عليهم السلام .

وكلما ازداد علما بجـلال الله تعالى ازداد خوفا منه . قال عليه الصلاة والسلام (أعْـلَـمكم بالله وأخوفـكم من الله أنا) . وقال الله تعالى فى صفة الملائـكة الـكرام . (يخـافون ربهم من فوقهم) وقال سبحانه فى وصف الأنبياء والمرسلين (ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) وهذا الخوف ومعه الحب جعلهما الله تعالى كجناحى طائر تسبح بهما الروح فى مظاهر تجليات (تبارك اسم ربك ذى الجـــلال والإكرام) فالجلال منشأ الرهبة والاكرام منشأ الرغبة ، وهذان الوصفان لاينفـكان عن عارف قال (ويدعوننا رغبا ورهبا) ، وهذان الوصفان بينهما برزخ لا يبغيان ، فلا ينبغى للرغبة أن تمحو الرهبـة التى هى أثر لصفة قديمة قائمـة بذاته تعـالى وهى الجـلال ، ولا للرهبـة أن تمحو الرغبـة التى هى أثر صفـة قديمـة قائمـة بذاته تعـالى وهى الإكـرام : لأن الـكون كله مظـاهر الأسمـاء والصفات الإلهية وعلى قدر ظهـور الأثر يظهر علو قدر المؤثـر فيـه كما فى الحديث المتقدم (أعلمـكم بالله وأخوفـكم من الله أنا) ، ولما كان صلى الله عليه وسـلم مظهر التجلى لاسمـه العالم واسمه تعالى ذى الجلال بما لا يصل إليه مخلوق سواه نال صلى الله عليه وآله وسلم درجة الأفضلية المطلقة وإن

كانت فى الحديث مقيدة بقوله (أعلمكم) لأن الاجماع على أنه صلى الله عليه وسلم أفضل خلق الله تعالى وأعلمهم بالله تعالى وأخوفهم من الله تعالى، وقد أخذ الله تعالى الميثاق له صلى الله عليه وسلم على جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام بالإيمان به صلى الله عليه وسلم وإنما يؤخذ الميثاق على المفضول للفاضل .

واسمع يا أخانا فى الله تعالى :

إن الله تعالى أول ماخلق خلق النور المحمدى فتجلى عليه بأعلى مظاهر الأسماء والصفات فكان صلى الله عليه وسلم أول مظهر لاسمه تعالى الخالق . فنال صلى الله عليه وسلم رتبة الأولية للمخلوقات فهو صلى الله عليه وسلم أول مخلوقات الله ، وتجلى عليه سبحانه وتعالى باسمه الآخرية ـ وهو آخر النبيين والمرسلين يعنى ختامهم ـ فنال رتبة الآخر للنبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام . بمعنى الختام ، وتجلى عليه باسمه العالم قبل جميع المخلوقات فكان أول معلم كما فى سنن الترمذى كما قال عليه الصلاة والسلام (كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد) وكما فى قوله تعالى (وعلمك مالم تكن تعلم) يعنى من الأزل المشار إليه فى الحديث المتقدم بمعنى كنت نبياً أى كنت مخبراً ومعلماً من الله تعالى ، وعلمك القرآن بعد أن أرسلك إلى الخلق وعلمك القرآن بعد تمام الأربعين سنة ولا يزال صلى الله عليه وسلم يتلقى القرآن حتى تم عليه وحيه فى مدة ثلاث وعشرين سنة ، وهذا أيضاً يدخل فى قوله تعالى :

« وعلمك مالم تكن تعلم » وأيضاً يدخل فيه قوله صلى الله عليه وسلم كما فى البخارى « أو ليس قد أوتيت القرآن ومثله معه » ويدخل فيه أيضا . كما فى البخارى قول أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها : أول مابدأ ينزل به صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . ويدخل فيه أيضا قوله صلى الله عليه وسلم كما فى البخارى عن كيفية شفاعته صلى الله عليه وسلم « فأذهب فأسجد تحت العرش فيفتح الله على بمحامد »

ويدخل فيه أيضاً ماحصل له صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الاسراء والمعراج من العلم البصرى كما فى قوله تعالى : (لنريه من آياتنا) ، ومن العلم الخارق للعادة كما فى قوله تعالى : « وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس » . قال ابن عباس رضى الله عنهما هى رؤيا عينية أريها النبى صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به . أخرجه البخارى فى كتاب التفسير . وعند هذا المكان قال الحافظ العسقلانى رحمه الله سئل الامام أحمد رضى الله عنه بمَ نردُّ على عائشة رضى الله عنها حين حين أنكرت الرؤية قال : نرد عليها بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « رأيت ربى ليله أسرى بى » وكذلك يدخل فى قوله تعالى « وعلمك مالم تكن تعلم » كشف الحجاب له صلى الله عليه وسلم وسمعه عن الله تعالى بلا واسطة وهنا سؤالان .

أحدهما : وجهه بعض علماء الأزهر إلى الشيخ على القوصى رحمه الله تعالى ويسأل شيخه ـ الشيخ العارف الشيخ العالم الذى جمع الله تعالى له بين شرف القرآن وشرف العلم وشرف النسب ـ الشيخ السيد / احمد ابن إدريس رضى الله عنه : قائلا له كيف خاطب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج بلا واسطة وهو القائل « ماكان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء » فلما سأل الشيخ على القوصى شيخه عن ذلك قال له « لبشر » نفهم منه أنه يقول النفى مقيد بالبشرية فإذا ترقى صلى الله عليه وسلم عنها كلمهُ كيف شاء .

السؤال الثانى : أوردوه على الصوفية حينما استدلوا على الخلوة بحديث الغار وأنه سنة عنه صلى الله عليه وسلم . قالوا لهم إن نزول الغار كان قبل الرسالة والسنة لا تثبت إلا بعدها ـ أجاب بعض شراح البخارى بأن الخلوة حصلت منه صلى الله عليه وسلم بعد الرؤيا الصالحة التى جعلتها السيدة عائشة رضى الله عنها من الوحى وترجم لها البخارى على أنها من الوحى ، واستدلوا بقولها فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح . ثم حبب إليه الخلاء ـ قالوا

فالخلوة جاءته بعد الرؤيا الصالحة فهى ناشئة عنها – والرؤيا الصالحة من الوحى وفعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعد الوحى يسمى سنة فالخلوة سنة.

ثم أرجع إلى كلامى الأول بإذن الله تعالى: قد تجلى عليه ﷺ باسمه الرحمن بما لايتجلى به على مخلوق وهذا معنى قوله تعالى مخاطباً نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ».

فهذا العموم الشامل لجميع العالمين لم يكن لأحد سواه صلى الله عليه وآله وسلم من الخلق، ولما جعله الله تعالى رحمة ﷺ لجميع العالمين جعله صلى الله عليه وآله وسلم واسطة وسبباً لإيجاد العالمين كما فى الحديث القدسى (لولاك لولاك ماخلقت الأفلاك) أخرجه الإمام أحمد رضى الله عنه.

وكان صلى الله عليه وآله وسلم سبباً فى خلق آدم عليه السلام حيث يقول سبحانه مخاطباً آدم عليه السلام: (لولاه ماخلقتك)، وهذا الحديث له بقية أخرجه الحاكم فى المستدرك.

وقول الله (ماخلقتك) جاء بها الشيخ العالم سيدى محمد عثمان المرغنى رضى عنه، وهى حتى الآن لم أقف على مكان تخريجها.

وتجلى عليه الحق سبحانه وتعالى باسمه تعالى الواسع فجعل رسالته صلى الله عليه وآله وسلم وسعت جميع المكلفين على وجه الأرض من الإنس والجن إلى يوم القيامة فهى عامة فى مكانها وهو الإنس والجن وفى زمانها وهو جميع الزمن إلى يوم القيامة، ولم يحصل ذلك لأحد قبله ﷺ.

وتجلى الله سبحانه وتعالى عليه باسمه تعالى الرافع فرفع سبحانه العذاب الذى كان يستأصل الأمم كالطوفان وقلب الأرض والصيحة وإرسال الريح العاتية وذلك الرفع بقى إلى يوم القيامة، بسببه ﷺ.

وإلى هنا أقول كما قال الشيخ العالم سيدى محمد عثمان المرغنى الجعفرى من ذرية سيدنا جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه.

ولو أخذت فى النقل لتهت فى وسع هذا الميدان.

بسم الله الرحمن الرحيم

« يامن أظهر الجميل وستر القبيح..

يامن لايأخذ بالجريرة ولا يهتك السريرة..

ياعظيم العفو ياحسن التجاوز ياواسع المغفرة..

ياصاحب كل نجوى يامنتهى كل شكوى..

يا كريم الصفح ياعظيم المن ويامبتدئ النعم قبل استحقاقها..

ياربنا ياسيدنا يامولانا وياغاية رغبتنا، أسألك يا الله أن لاتشوى خلق بالنار ».

رواه الحاكم عن ابن عمر

وفى الحديث:

ياعلى إذا أحزنك أمر فقل:

« اللهم احرسنى بعينك التى لاتنام، واكنفنى بكنفك الذى يرام، واغفر لى بقدرتك فلا أهلك وأنت رجائى، كم من نعمة أنعمت بها على قل لك عندها شكرى وكم بلية ابتليتنى بها قل لك عندها صبرى، فيامن قل عند نعمه شكرى فلم يحرمنى، ويامن قل عند بليته صبرى فلم يخذلنى، ويامن رآنى على الخطأ فلم يفضحنى، ياذا المعروف الذى لاينقضى أبداً، وياذا النعماء التى لاتحصى أبداً.

أسألك أن تصلى على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، وبك أدرأ فى نحور الأعداء والجبابرة ».

رواه النسائى

فهرس

كتاب الذخيرة المعجلة للأرواح المعطلة
للإمام العارف بالله سيدى الشيخ صالح الجعفرى

تم بحمــد الله

فى ١٥ جمادى الأولى سنة ١٤٠٣ هـ

الموافق ٢٨ فـبراير سنة ١٩٨٣ م

مطبعة المدينة المنورة

الشيخ عبد العال بالزاوية الحمراء بجوار جامع الشيخ على



مؤلفات الامام صالح الجعفرى

صدر منها :

١ ـ ديوان الجعفرى صدر أربعة أجزاء
٢ ـ فتح وفيض من الله فى شرح لا إله إلا الله محمد رسول الله
٣ ـ المعانى الرقيقة على الدرر الدقيقة
٤ ـ الالهام النافع لكل قاصد على رسالة القواعد
٥ ـ أسرار الصيام
٦ ـ البردة الحسنية الحسينية « مديح »
٧ ـ روضة القلوب والأرواح « مديح »
٨ ـ جالبة الفرج منظومة (أسماء الله الحسنى)
٩ ـ الذخيرة المعجلة للأرواح المعطلة

كما قام رضى الله عنه بتحقيق وطباعة كتب شيخه سيدى أحمد بن ادريس رضى الله عنه

كتب للإمام تحت الطبع :

١ ـ الجزء الخامس من ديوان الجعفرى
٢ ـ المقبوله
٣ ـ الصلوات الجعفرية المسماه بالأقمار الدرية فى الصلاة على خير البريه
٤ ـ منبر الازهر يترجم عن نعمة الله على آل جعفر
٥ ـ رسالة : أيها المريد

مطبعة المدينة المنورة (الشيخ عبد العال)
بالزاوية الحمراء بجوار جامع الشيخ على